

الهمز بين النحويين والقراء دراسة صوتية أدائية

HAMZ BETWEEN GRAMMARIANS AND READERS AUDIO-PERFORMANCE STUDY

الباحث: مختار بزاوية St. Mokhtar BEZZAOUYA

جامعة وهران1 University of Oran1

bezzaouya10@hotmail.com

Accepted:

قبل للنشر: 2017/07/23

Received:

استلم: 2017/12/28

ملخص:

شغلت ظاهرة الهمزة حيزا كبيرا من التفكير اللغوي العربي، ودار حولها خلاف كبير بين النحويين والقراء، وتعددت استعمالات الهمزة ودلالاتها، وتعددت صورها التي وردت عليها، وتصرفت العرب فيها بالحذف والإبدال والتسهيل وغير ذلك، واستعملت مركبة مع غيرها من الحروف والأدوات، ودلت على العديد من المعاني النحوية والوظائف النحوية في حال إفرادها أو تركيبها، بل تعدد رسمها الإملائي حسب الموضع الذي ترد فيه في بنية الكلمة العربية.

لذا يُعتبر الهمز من أهم الظواهر الصوتية التي اشتد فيها الخلاف بين النحويين والقراء، فقد اختلفوا فيه اختلافا كبيرا، وصل بهم إلى حد تخطئة بعضهم بعضا، فقد اختلفوا في صفته وفي نوعه، أهو حرف صحيح أم حرف علة؟ أم هو شبيه بحرف العلة؟

والمتصفح لكتب النحو واللغة والقراءات يجد أنهم قد أولوه اهتماما كبيرا، فعقدوا لها فصولاً مطوّلة، ومباحث متعددة، كمكي بن أبي طالب في "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها"، وسيبويه في "الكتاب"، وابن جني في "الخصائص"، وأبي علي الفارسي في كتاب "الحجة"، وغيرهم كثير.

ولأنّ ظاهرة الهمز قد تعددت مسائلها وتشعبت الدراسات حولها، نحويًا وصرفيًا ودلاليًا وصوتيًا وإملائيًا، فإنّ هذا البحث سيركز على الجانب الصوتي الأدائي منها، ويحاول إيجاد أهم الفروق التي انبث عنها الخلاف بين النحويين والقراء من هذا الجانب، مُدْعِمًا بحجج الفريقين، ومستعينا ببعض النماذج من القراءات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الهمز؛ النحو؛ القراءات القرآنية؛ أوجه القراءة؛ التعليل؛ الظواهر الصوتية.

Abstract:

The phenomenon of Hamz occupied a large part of the linguistic thinking of the Arabs, and around it a great dispute between the grammarians and the readers, and the many uses of Hamzah and its implications, and the many types that were received, and the Arabs acted by deleting, replacing, muting and so on, and used with other letters and tools. It showed Grammatical meanings and grammatical functions in the case of their singularity or composition, and lot of spellings according to the place in which they appear in the structure of the Arabic word.

Therefore, the Hamz is considered one of the most important vocal phenomena in which the difference between the grammarians and the readers intensified, and they differed in a great difference, and reached them to the point of sinning each other, they differed in its status and in its type, is it a consonant letter or a vowel letter? Or is it similar to the vowel letters?

And the browser for the books of grammar, language and readings finds that they have paid great attention, they have lengthy chapters, and multiple studies, like Makki bin Abi Talib in "Al-Kachf An Wujuh Al-Qiraat Essabe Wa Ilaliha," and Sibawayh in the book "Al-kitab", and Ibn Jaini in "Al-Khassais", and Abi Ali al-Farsi In the book "Al-Hojja", and many others.

This research will focus on the sound side of the performance, and try to find the most important differences on which the disagreement between the grammarians and the readers of this side, supported by the arguments of the two groups, and using some models of Quranic readings.

Keywords : hamz; grammar; Qranique Qiraat; aspects of qira'a; reasoning; phonetic phenomena.

مقدمة:

كان القرآن ولا يزال محط أنظار الدارسين، ومناط بحثهم في كل زمان ومكان، فهو المعين الذي لا ينضب لكل المعارف والعلوم، والسبيل لمن أراد نشد الحقيقة وجدَّ في طلبها، وسعى إلى خير الدنيا والآخرة قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿[فصلت 41-42].

ورغم احتفاء أسلافنا بالقرآن الكريم واهتمامهم به، إلا أنَّ فترة الفتح الإسلامية جلبت إلى الإسلام شعوبا أخرى، انصهرت فيه حاملة معها اعوجاج لسانها ولُكَّتْها في النطق بلغة الضاد، فنال القرآن بعض الاختلاف في التهجئة فضلا عن القراءة الصحيحة السليمة، مما جعل أخيار هذه الأمة وعلماءها يهبون لصون القرآن الكريم والدفاع عنه، ولم يؤت هذا العمل ثمرة، إلاَّ عند قيام حركة التأليف والتدوين حول كتاب الله، والعلوم المنبثقة منه.

ومع بدء هذه الحركة تعددت علوم القرآن ومباحثه، ولقي علم القراءات منها اهتماما كبيرا، فأُفردت له التصانيف العديدة، وانبرى للبحث فيه جبهة من العلماء والدارسين، على اختلاف مذاهبهم وتنوع اتجاهاتهم الفكرية والأدبية، من قراء، ولغويين، ونحويين، وأصوليين، يتناولونه بالدراسة والتحليل والبحث قديما وحديثا.

وفي مراحل بحثي ودراستي كنت قد انضويت تحت حلقة بحث حول القراءات القرآنية، وقد صادفتني إشكالات كثيرة وأنا أُلج هذا الحقل من الدراسات القرآنية، خاصة حينما أصطدم مع كثرة الاختلافات، والآراء والأقوال المتباينة في قضية واحدة من مسائل القرآن الكريم وأوجه قراءاته، والتي أُشكل على كثير من الباحثين البت في العديد من مسائلها. فعددت العزم على أن أكرس قلبي لخدمة لهذا الكتاب الكريم، والدفاع عن الحرف المُشرف، والسعي الحثيث لنشد الحقيقة وإجلاء الغشاوة وطردها الحيرة.

ومن تلك المسائل المعقدة ظاهرة الهمز التي شغلت حيزا كبيرا من التفكير العربي، ودار حولها خلاف كبير بين النحويين والقراء، وقد حظيت بجانب كبير من اهتمام النحويين والصرفيين والقراء على حدٍّ سواء، قديما وحديثا، فبحثوا في أصولها واستعمالاتها، ودرسوا صفاتها ومخرجها، وأفردوا لها أبوابا وفصولا خاصة في مؤلفاتهم النحوية والصرفية والقراءاتية.

وما عنوا بظاهرة الهمز هذه العناية الفائقة وأفردوها بالبحث والتأليف دون غيرها من الحروف إلا لأتھا صوت فذَّ بين الأصوات العربية وقبائل العرب، ولھا عدة صور في الكتابة، وتباين في النطق بها: تحقيقا وتخفيفا وإبدالاً وحذفاً، ولأتھا

أيضا قد شغلت القراء بما فحرسوا على نطقها وأدائها بصور صحيحة سليمة، نقلا عن الثقات والأثبات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحضوري إلى هذا المجال لا يعني السبق أو ما أشبهه، بل إنّ هذا الموضوع قدم قدمَ البحث العلمي عند اللغويين والنحاة، وقدم القراءة والأداء والتطبيق عند القراء. وأنا أسجّل هنا أنّ التّأليف والدراسات في هذا المجال لا تُعدّ ولا تُحصى -دون مبالغة مئّي- والإتيان على ذكرها يظلّ إتيانا على سبيل الذّكر لا الحصر، فمنها القديم، ومنها الحديث، ويمكن تصنيفها على النحو التالي:

أولا- معاجم:

- "معجم الهمزة": لأدما طرية، ط1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 2000.
- "معجم القراءات القرآنية": د.أحمد مختار عمر، و د.عبد العال سالم مكرم، ط3، بيروت، عالم الكتب، 1997.

- "معجم القراءات القرآنية": د.عبد اللّطيف الخطيب، ط1، دمشق، دار سعد الدين، 2002.

ثانيا- مقالات:

نذكر على سبيل المثال:

- المقال الموسوم بـ "الهمزة وأخواتها بين القراء واللغويين": د.صالح حيدر الجميلي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع50، السنة الثالثة عشر، 2005.
- المقال الموسوم بـ "الهمز بين القراء والنحاة": د.أكرم عي حمدان، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ع08، السنة الرابعة، 2009.
- المقال الموسوم بـ "الهمزة بين التحقيق والتسهيل": د.إبراهيم محمد خفاجة، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع02، 2013.
- المقال الموسوم بـ "في تاريخ ظاهرة الهمز في اللغة العربية": د. يحي عطية عابنة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، ع03، 2015.

ثالثاً - رسائل جامعية:

نذكر على سبيل المثال:

- "الهمزة دراسة لغوية صرفية نحوية" (رسالة ماجستير): سلوى محمد عمر، من كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1986.
- "رسم القرآن الكريم" (رسالة ماجستير): حبيب زحماني فاطمة، من قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السانيا وهران، 2000.
- "الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات" (رسالة دكتوراه): عبد البديع النيرباني، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، 2005.
- "الهمز بين القراء واللغويين" (رسالة ماجستير): محمود أحمد حسن عبد الله، من كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، 2005.
- "ظاهرتا الهمز والإمالة عند القراء الكوفيين الثلاثة" (رسالة ماجستير): خالد محمود، من قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية غزة، 2011.
- "التغيرات الصوتية في القراءات القرآنية" - دراسة في وقف حمزة وهشام على الهمز - (رسالة ماستر): محمد رضا شوشة، من كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2014.

خامساً - تأليف عامة:

- وهذا المؤلفات منها ما لامس الموضوع مباشرة، ومنها ما تحدّث عنه ضمن مجموعة أخرى من العلوم كالنحو والصرف والقراءات، وعلوم القرآن والتفسير، ونذكر منها ما يلي:
- "كتاب الهمز": أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (ت215هـ)، نشره الأب لويس شيخو، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1911.
- "الكتاب": عمرو بن عثمان سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1982.

- "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة القيسي": مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد محسن فرحات، ط3، عمان، دار عمار، 1996.
- "كتاب تحصيل الهمزتين": الإمام أبو الأصبع السّمانى الإشبيلي المعروف بابن الطحان (ت560هـ)، تحقيق محمد يعقوب تركستاني، ط1، 1991.
- "دليل الحيران على مورد الظمان": أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التونسي المالكي (ت1349هـ)، القاهرة، دار الحديث، (دت).
- "عقري اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني": د. عبد الغفار حامد محمد هلال، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، (دت).
- "المهذب في القراءات العشر وتوجيهها": د. محمد سالم محسين، ط1، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، 2002.

وجملة القول فيما يخصّ هذه المؤلفات و المصنّفات، أنّها ذات أهمية بالغة ومادة علمية كثيفة، تناولت ظاهرة الهمز بشيء من التفصيل والبحث العميق، الذي لربما قد يرهق الباحث ويجعله تائها وسط هذا الكم الهائل من الأبواب والفصول والمباحث، لذلك عقدت العزم على كتابة هذه البحث، لبيان المشكلات المتعلقة بهذه الظاهرة، مع ذكر اختلاف النحويين والقراء فيها، وهذا محاولة مني للّمْ شتات ما تفرّق من بحوث وآراء حول الهمز في عمل واحد، وتقديم صورة واضحة لما دار حوله من خلاف مع الإيجاز وذكر الأهم منها، مركزاً على الجانب الصوتي الأدائي منها، إذ هو الطاعني طغيانا في الخلاف بين القراءات القرآنية إذا ما قورن بالوجوه الأخرى. ولاشكّ أن البحث العلمي حلقات متواصلة يكمل بعضها بعضاً، والله من وراء القصد وهو المعين.

أولاً - تعريف الهمز:

أ - الهمز لغة: هو الغمز، والضغط، والشدة، والدفع، والضرب، إلى غير ذلك من المعاني، وَهَمَزَ الْكَلِمَةَ وَالْحَرْفَ نَطَقَ بِهَا بِالْهَمْزِ أَوْ وَضَعَ لَهَا عَلَامَةَ الْهَمْزِ، وَهُوَ مِنْ مُصْطَلَحَاتِ التَّصْرِيفِيِّينَ⁽¹⁾. وسميت الهمزة في الحروف لأنها تُهَمَزُ فَتَهْتَفُ فَتُهَمَزُ من مخرجها، قال السيوطي (ت911هـ): «وُسِّمِيَ الْهَمْزُ الْمُهْتَوْتُ مِنَ الْهَتِّ، وَهُوَ عَصْرُ الصَّوْتِ، لِأَنَّهَا مَعْتَصِرَةٌ كَالْتَهْوَعِ، أَوْ مِنَ الْهَتِّ وَهُوَ الْخَطْمُ وَالْكَسْرُ، لِأَنَّهَا يَعْرِضُ لَهَا الْإِبْدَالُ كَثِيرًا فَتَنْحَطِمُ وَتَنْكَسِرُ»⁽²⁾.

والهمزة أحد حروف اللغة العربية، يعبر عنها بالألف المهموزة؛ لأنها لا تقوم بنفسها ولا صورة لها؛ فلذا تكتب مع الضمة واوا، ومع الكسرة ياء، ومع الفتحة ألفا⁽³⁾. وهي حرف صحيح لأنه يقبل الحركات الثلاث، وحرفٌ مشبَّه بحروف العلة لأن الإعلال والإقلاب يكونان فيهما⁽⁴⁾. وقد تُستعمل كلمة "النبر"⁽⁵⁾ للدلالة على الهمز، قال الخليل (ت170هـ): «النبر بالكلام: الهمز»⁽⁶⁾.

وجاء في لسان العرب⁽⁷⁾: «النبر بالكلام: الهمز. قال: وكل شيء رفع شيئاً فقد نبره، والنبر: مصدر نبر الحرف ينبره نبراً همزة وفي الحديث، قال رجل للنبي - صلى الله عليه وسلم - : يا نبي الله، فقال: لا تنبر باسمي. أي: لا تهمز.

(1) ابن منظور (جمال الدين): لسان العرب، مادة همز.

(2) السيوطي (جلال الدين): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ج06، ص298.

(3) الزبيدي (محمد مرتضى): تاج العروس من جواهر القاموس، مادة همز. وقد عالج القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" موضوع الهمزة تحت عنوان: "ما ليس له صورة تخصه، وهو الهمزة، إذ تقع على الألف والواو والياء، وعلى غير صورة".

(4) طرية (أدما): معجم الهمزة، ص02.

(5) النبر عند العرب ارتفاع الصوت، يقال: نبر الرجل نبرة، إذا تكلم بكلمة فيها علو، وأنشد ابن الأنباري: (إني لأسمع نبرة من قولها ** فأكاد أن يُغشى عليَّ سورا). ينظر: الزبيدي (محمد مرتضى): تاج العروس من جواهر القاموس، مادة نبر.

(6) الفراهيدي (الخليل بن أحمد): معجم العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، مادة همز.

(7) ابن منظور (جمال الدين): لسان العرب، مادة نبر.

وفي رواية فقال: إنا معشر قريش لا نبر. وَلَمَّا حَجَّ المهدي قَدَّمَ الكسائي يُصلي بالمدينة فهمز، فأنكر أهل المدينة عليه، وقالوا: أتنبر في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن ؟ «⁽¹⁾.

ب- الهمز اصطلاحاً:

1- عند القدامى:

يكاد يتفق اللغويون والنحاة القدامى على أنَّ الهمزة حرف شديدٌ مجهورٌ ، يخرج من أقصى الحلق مما يلي الصدر⁽²⁾، قال سيبويه(ت180هـ): « لِحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ سِتَّةٌ عَشْرَ مَخْرَجًا، فَلِلْحَلْقِ مِنْهَا ثَلَاثَةٌ، فَأَقْصَاهَا مَخْرَجًا: الْهَمْزُ وَالْهَاءُ وَالْأَلْفُ... فَأَمَّا الْمَجْهُورَةُ فَالْهَمْزَةُ وَالْأَلْفُ... »⁽³⁾. وقال الزمخشري(ت538هـ): « إِنَّهَا نَبْرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ، وَتَفْتَقِرُ فِي تَحْقِيقِهَا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْجَهْدِ، وَلِهَذَا ثَقُلَ عَلَيْهِمْ نَطْقُهُ »⁽⁴⁾. وقال ابن الحاجب صاحب الشافية(ت646هـ): « ثُمَّ أَعْلِمَ أَنَّ الْهَمْزَةَ لَمَّا كَانَتْ أَدْخَلَ الْحُرُوفَ فِي الْحَلْقِ وَلَهَا نَبْرَةٌ كَرِيهَةٌ تَجْرِي بِمَجْرَى التَّهَوُّعِ، ثَقُلَتْ بِذَلِكَ عَلَى لِسَانِ الْمُتَلَفِّظِ بِهَا، فَخَفَّفَهَا قَوْمٌ، وَهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحِجَازِ »⁽⁵⁾.

فأساس الشدَّة عندهم والاستتقال هو خروج الهمزة من أقصى الحلق وبذل الجهد عند نطقها، حتى لكأنَّ صاحبه يكاد يصاب بالتهوُّع أي التقيُّ، لذا عمدوا إلى تخفيفه، قال ابن بري(ت582هـ):

وَالْهَمْزُ فِي النُّطْقِ بِهِ تَكْلُفٌ فَتَقْلُوهُ تَارَةً وَحَذُّوْا
وَأَبْدَلُوهُ حَرْفَ مَدٍّ مُحْضًا وَتَقْلُوهُ لِلسُّكُونِ رَفْضًا⁽⁶⁾

- (1) هذا الحديث رواه الحاكم في "المستدرک" لكن رده الحافظ الموثوق بضبطهم، كما أشار إليه ابن الطيب في "شرح كفاية المتحفظ". ينظر: أبو زيد (بكر بن عبد الله): معجم المناهي اللفظية، ص688.
- (2) ينظر: حسان (تمام): مناهج البحث في اللغة، ص07. وعمر (أحمد مختار): دراسة الصوت اللغوي، ص274.
- (3) سيبويه (عمرو بن عثمان): الكتاب، ج04، ص433-434.
- (4) الزمخشري (جار الله): المفصل في صنعة الإعراب، ج10، ص134.
- (5) الأستريادي (رضي الدين): شرح شافية ابن الحاجب، ج03، ص31.
- (6) المارغيني (إبراهيم): النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، ص52.

وأما الجهر فقد بنوه على أساس تعريفهم له، وهو ما يمنع النفس من الجريان معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت، وعليه قول سيبويه (ت180هـ): « فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت فهذه حال المجهورة في الحلق والفم »⁽¹⁾. ومعنى إشباعه في موضعه هو ثبوت أعضاء الجهاز الصوتي بوضعها الخاص بإصدار الصوت في المنطقة الخاصة بنطقه، وفي حالة الهمزة هو استناد الوترين الصوتيين الغشائيين في الحنجرة بعضهما على بعض، وانطباقهما ومنع النفس من الجريان خلالهما، فلا يسمح للهواء بالمرور فيحتبس داخل الحنجرة حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت عندما يسمح له بالخروج على صورة انفجار هو صوت الهمزة الذي نسمعه نتيجة تباعد الوترين الصوتيين بعضهما عن بعض⁽²⁾.

2- عند المحدثين:

الهمزة -عند المحدثين- صوت ينتج من انطباق الوترين الصوتيين والعُضروفين الهرميين -في الحنجرة- انطباقاً كاملاً وشديداً، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقاً، فيُحتبس داخل الحنجرة، ثم يُسمح له بالخروج على صورة انفجار⁽³⁾. وعلى هذا فهم يخالفون مذهب القدماء في كونها حرفاً مجهوراً، ودليلهم في ذلك ما أكّده التجارب المخبرية، لأنّ الأوتار الصوتية معه تكون مغلقة إغلاقاً تاماً لا يسمح بوجود الجهر في النطق، لأنّ الجهر هو اهتزاز الأوتار الصوتية عند النطق بالحرف⁽⁴⁾. ولكنهم انقسموا إلى فريقين:

فالفريق الأول -وهم جماعة من الغربيين من أمثال هفتر وبروسناهان ومالمبيرغ - فيرون أنّها حرف مهموس انفجاري⁽⁵⁾، وتبعهم في ذلك مجموعة من الدارسين واللغويين العرب من أمثال د. تمام حسان، ود. عبد الرحمن أيوب⁽¹⁾.

(1) سيبويه (عمرو بن عثمان): الكتاب، ج04، ص434.

(2) الجبوري (مي فاضل): القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، ص20.

(3) ينظر: شاهين (عبد الصبور): القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص24.

(4) ينظر: الغوث (مختار): لغة قریش، ص38.

(5) حمدان (أكرم علي): الهمز بين القراء والنحاة، ص171.

وأما الفريق الثاني فيرون أنها صوت لا هو بالجمهور ولا هو بالمهموس، ويقود هذا الاتجاه من الغربيين اللغوي دانيال جونز⁽²⁾، وتابعه على ذلك د. إبراهيم أنيس، ود. كمال بشر⁽³⁾.

ومحل الخلاف بين الفريقين هو الأساس الذي بنى عليه كل رأي، فالقائلون بالهمس اعتمدوا على ما ذهب إليه هفتر من أن للحنجرة وظيفتين ذبذبة الأوتار الصوتية وهي صفة الجهر وعدم ذبذبتها وهي صفة الهمس ويدخل في حالة عدم الذبذبة حالة الاحتباس في الحنجرة وذلك في الهمزة⁽⁴⁾، وفي ذلك يقول د. عبد الرحمن أيوب: « يجب أن يلاحظ أنه عندما يكون الاحتباس في منطقة الحنجرة، وهنا يكون الساكن الناتج من هذا الانحباس همزة لا يمكن أن تظل الأوتار الصوتية على ذبذبتها، ضرورة أنّ الانحباس في هذه الحالة يتم بانطباق الأوتار الصوتية انطباقاً تاماً، وهو أمر يناقض التذبذب، ومن أجل هذا نقول بأن الهمزة مهموسة لأن الهمس يعني عدم التذبذب »⁽⁵⁾.

أما القائلون بأنها صوت لا هو بالجمهور ولا هو بالمهموس، فقد بنوا مذهبهم على ما ذكره دانيال جونز من أن للحنجرة ثلاث وظائف: الاحتباس وذلك في الهمزة وحدها، والانفتاح دون ذبذبة وذلك في المهموسات، والانفتاح مع الذبذبة وذلك في المجهورات⁽⁶⁾. وفي هذا يقول د. كمال بشر: « والقول بأنّ الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالجمهور هو الرأي الراجح، إذ إنّ وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو ما يسمى بالهمس، وهناك من الدارسين المحدثين من يرى أنّ الهمزة صوت مهموس، ويبدو أنهم يقصدون بالهمس حينئذ عدم الجهر،

(1) ينظر: حسان (تمام): مناهج البحث في اللغة، ص 117 و 124. وأيوب (عبد الرحمن): أصوات اللغة، ص 183.

(2) ينظر: الجبوري (مي فاضل): القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، ص 21.

(3) ينظر: بشر (كمال): علم الأصوات، ص 288. وأنيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية، ص 77.

(4) ينظر: شاهين (عبد الصبور): أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي، ص 167.

(5) أيوب (عبد الرحمن): أصوات اللغة، ص 183.

(6) ينظر: هلال (عبد الغفار حامد): عبقرية اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني، ج 2، ص 599.

وهو رأي غير دقيق، إذ هناك حالة ثالثة هي حالة وضع الأوتار الصوتية عند نطق الهمزة العربية ⁽¹⁾. ومع هذا فقد تبع بعض المحدثين القدماء في وصفها بالجهر كالـدكتور صبحي الصالح ⁽²⁾.

وإذا أردنا الترجيح في هذه المسألة فنقول أنّ معايير الدراسة كانت مختلفة بين القدماء والمحدثين وبين المحدثين أنفسهم، وذلك نتيجة اختلافهم في تعريف الجهر والهمس، ونظرتهم إليهما، فالقدماء لم يقيموا نظرهم للجهر والهمس على اهتزاز الوترين أو عدم اهتزازهما، لأنّ هذين لم يُعرفا إلا بعد تشريح أعضاء النطق في العصر الحديث مما أدى بهم إلى هذا التباين والاختلاف ⁽³⁾، أضف إلى ذلك أنّ العلم الحديث بوسائله الصوتية المتطورة قد رصد صوت الهمزة بصور متعددة، وأظهرها صوتا غير مستقر لا يأخذ شكلا معيّنا محددا، وصوتا شبيها بالعلة في بعض السياقات، مع ما يعتري الهمزة في النطق العربي من إبدال وحذف وتسهيل وغيرها ⁽⁴⁾.

وقد مال د. عبد الغفار هلال إلى ترجيح رأي دانيال جونز ومن تبعه في عدّ الهمزة صوتا لا بالجهور ولا بالمهموس، إذ يقول: «ويبدو أنّ هذا الرأي سديد، لأنّ أحوال الهواء مختلفة، فهو إذا انطلق إما أن يؤثر في الأوتار الصوتية فيحدث الجهر، أو لا يؤثر فيها فيحدث الهمس، واحتباس الهواء في الحنجرة شيء جديد وحال أخرى مغايرة لسابقتها، فالأولى ملاحظتها في صوت الهمزة، وبخاصة أننا في مجا البحث العلمي الدقيق ⁽⁵⁾. ولعله الرأي الأصوب والله أعلم.

وأما عن مخرج الهمزة فقد اختلف الأقدمون والمحدثون في ذلك، فيرى الأقدمون أنّها من حروف أقصى الحلق - خلاف للخليل بن أحمد الذي يعد الهمزة في الهواء وليس لها حيز تُنسب إليه وأنّها تخرج من الجوف - وأما المحدثون فيون

(1) بشر (كمال): علم الأصوات، ص 288.

(2) الصالح (محمد صبحي): دراسات في فقه اللغة، ص 281.

(3) السحيمي (سلمان بن سالم): إبدال الحروف في اللهجات العربية، ص 98.

(4) عمر (أحمد مختار): دراسة الصوت العربي، ص 346.

(5) هلال (عبد الغفار حامد): عبقرى اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني، ج 02، ص 599.

أثما تخرج من نفس المزمار، لأنّ فتحة المزمار تنطبق انطباقا تاما عند النطق بها فلا يتسرّب شيء من الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة، فيسمع صوت انفجاري هو ما يعبر عنه بالهمزة⁽¹⁾.

ج- الفرق بين الهمزة والألف:

أنكر بعض علماء العربية الهمزة ولم يعتد بها، معللا بأن الهمزة لا صورة لها، معتبرا أنّ حروف العربية ثمانية وعشرون حرفا فقط، وهذا مذهب الفراء (ت207هـ)، وثلعب (ت291هـ)، والأزهري (ت370هـ). أما جمهور اللغويين والنحويين فقد تابعوا الخليل (ت170هـ) وسيبويه (ت180هـ) وعدوها حرفا قائما بذاته، وعلى هذا فعدد حروف الهجاء عندهم تسعة وعشرون⁽²⁾.

وقد فرّق بينهما سيبويه -وتبعه في ذلك ابن جني- على أساس الحركة فقال: « الهمزة حرف كالعين، والألف حرف آخر لا يكون إلا ساكنا، ولا يكون في أول الكلمة، ولذلك وضع واضع حروف المعجم الهمزة أول الحروف، والألف مع اللام قبل الياء »⁽³⁾.

والحقيقة أنّ الهمزة ألف، أمّا تسميتها همزة فجاءت من وصف كَيْفِيَّةٍ نَطْقِيَّةٍ لبعض وجوهها، وهي التحقيق⁽⁴⁾، وتبعا للغة المنطوقة لا المكتوبة أنّ الهمزة تَرُدُّ على التحقيق والتخفيف، فهي ليست صوتا واحدا، وإنما صوتان أصلان: صامت وصائت، نطق بهما العرب، قبل أن يجيء الخط ويمثلهما الرسم. وحين جاء الخطّ مثلهما الرّسم جميعا بصورة واحدة، في أول الأمر هي "الألف" ثم فُرّق بينهما في الرّسم⁽⁵⁾.

(1) المرجع السابق، ص597-598.

(2) ينظر: الجميلي (صالح حيدر): الهمزة وأحوالها بين القراء واللغويين، ص105.

(3) الصبان (محمد بن علي): حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ج4، ص401.

(4) ينظر: شاهين (عبد الصبور): القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص17.

(5) ابن الطحان (أبو الأصبع السّمني): كتاب تحصيل الهمزتين، تحقيق محمد يعقوب تركستاني، ص29-31.

وأما من حيث صفات نطقهما قد فرّق سيبويه (ت180هـ) بين الهمزة والألف، فعَدَّ من المجهور: الهمزة والألف...، وعَدَّ الهمزة حرفاً مجهوراً شديداً، بينما عَدَّ الألف حرفاً هاوياً مجهوراً⁽¹⁾. وذكر أنها تبدل ألفاً، فقال: « وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة، فأردت أن تخفّف أبدلت مكانها ألفاً، وذلك قولك في رأس وبأس وقرأت: راس وباس وقرأت⁽²⁾ ». وهذا يوافق ما قرّره الخليل في كتاب العين.

ثانياً- الهمز عند القبائل العربية:

إذا تتبعنا ظاهرة الهمز عند العرب من خلال المصادر العربية، وجدناها سمةً من سمات القبائل البدوية؛ التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقيها كتميم وقيس وبنو سعد ومن جاورها، في حين اختصّت لهجة القبائل الحضرية في شمال الجزيرة وغربيها بعدم الهمز وبخاصّة قريش في مكّة، والأوس والخزرج في المدينة⁽³⁾.

وإذا كانت القبائل البدوية تميل إلى السّعة في النّطق وتلمس أيسر السّبل إلى هذه السّعة، فإنّ تحقيق الهمز كان في لسانها الخاصّة التي تخفّف من عيب هذه السّعة. أمّا القبائل الحضرية - فعلى العكس من ذلك - كانت متأنية في نطقها، متّدة في أدائها فأهملت همز كلماتها... واستعاضت عن ذلك بوسائل عبر عنها النّحاة بعبارات مختلفة، كالتهليل، والتّخفيف⁽⁴⁾.

وهذا التباين في نطق الهمزة مرّده إلى أنّ الهمزة تحتاج إلى مجهود عضليّ كبير حال نطقها، لذا وجدنا العرب يختلف بعضهم عن بعض في نطقها والتمسك بها في كلامهم⁽⁵⁾. حتّى اللّغات السّامية مالت إلى التّخلّص منها في النّطق للعلّة نفسها⁽¹⁾.

(1) سيبويه (عمرو بن عثمان): الكتاب، ج04، ص434-436.

(2) المرجع السابق، ج03، ص555.

(3) ينظر: العبيدي (عادل هادي): الطواهر الصوتية والصرفي والنحوية في قراءة المحدثي البصري، ص29.

(4) ينظر: شاهين (عبد الصبور): القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص30-31.

(5) ينظر: هلال (عبد الغفار حامد): اللهجات العربية نشأة وتطوراً، ص210.

وهذا الرأي الذي يقسم حالات نطق الهمزة من تحقيق وتسهيل وغيره، فيه نظر لأنه من قبيل الاحتمال لا اليقين، وهو مدفوع بما يلي من الحجج:

● ليس هناك معجم رصد الاختلافات اللهجائية بصورة دقيقة لا يرقى إليها الشك، ويبقى اعتمادهم على مجرد روايات تُعزى إلى بعض الزوا غير مقبول منهجياً، ولا يمكن التعويل عليها والحكم عليها بالوثوقية التامة، ويبقى دليلهم ما جاء في لسان العرب "عن أبي زيد قال: «أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينيرون»"⁽²⁾، فهذه الرواية مع غيرها لا تنهض حجة لأنها مدفوعة بما شاع في اللغة الأدبية النموذجية التي ألتزمت في الخطب والشعر، والهمز كان محققاً فيها، ولا أثر للتسهيل أو الإبدال فيها، فإن كان التخلص من الهمز شائعاً فيهم، وهم من هم في الريادة والمكانة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية، فلم يعدلون عنه إلى غيره؟ أفئثال أنهم استعاروا ذلك من باقي تميم، أليس الأولى أن تكون هذه القبائل تبعاً لهم؟

● إن صعوبة تحديد الأطلس اللهجائي يقف حاجزاً أمام الباحثين، ذلك أن أكبر ما يتكون عليه، هو مجرد روايات متناثرة في كتب اللغة والأدب، والتعويل عليها لا يُعطي الوثوقية التامة في إصدار الأحكام، يقول د. إبراهيم السمراي: «إن التراث الذي يتصل باللغات مما ندعوه في عصرنا باللهجات، علم لا نستطيع يُسر أن نُصنّقه ونعزوه إلى قبيلة بعينها.. وليس لنا أن نقول: إن هذا تميمي خالص، فكثير مما يُنسب إلى تميم يكون لقيس وأسد في الوقت نفسه، وليس لنا أن نحمل ما يُعزى إلى الحجاز فنقول: إنه حضريّ منقطع الحضارة، ذلك أن شيئاً مما هو حجازي قد يكون بدويّاً»⁽³⁾.

● محاولة اللغويين البائسة لتحديد تقسيم دقيق يوضح ويُفَرّق بين البيئات العربية، لأنهم دوماً يميلون في تصوّراتهم إلى فرص منطق الانعزالية والاختصاص اللهجي لقبيلة دون أخرى، بينما نجد أن العرب كانوا يتأثرون ببعضهم البعض في

(1) ينظر: أنيس (إبراهيم): في اللهجات العربية، ص 68.

(2) ابن منظور (جمال الدين): لسان العرب، مادة همز.

(3) السمراي (إبراهيم): في اللهجات العربية القديمة، ص 12.

كل المجالات: الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، بل ومن جاورهم من الأمم الأخرى كفارس والروم، فتختلط ألسنتهم ويأخذ بعضهم عن بعض، يقول الدكتور إبراهيم السمرائي: «.. فكيف يدعي الباحثون الجدد أنهم يرمون لغات العرب القديمة، فهذا يبحث في لغة تميم، وآخر في لغة هذيل، وهكذا جرت محاولات لرسم لغات القبائل؟ ولكنك لو فحصتها لم تجد إلا تخلفات لغوية خاصة بهذه القبيلة، وقد تشركها قبيلة أخرى»⁽¹⁾. ويرى ليمان "أن مسألة التسهيل والتحقيق عند أهل الحجاز، وعند بني تميم غير واضحة، وعلى الأرجح كان يؤثر بعضهم في بعض"⁽²⁾.

● ما كان يجري في الأسواق الأدبية المعقودة في مكة وما جاورها، خير دليل على هذا التلاقح الفكري والتأثر اللغوي والثقافي، ومع ذلك يُحاول بعض اللغويين والدارسين لتطور اللغة إيجاد تلك الخيوط الرفيعة لنسبة لهجة أو لغة ما إلى أصحابها، أين كان مهد نشأتها.

● قراءة ابن كثير التي التزم فيها تحقيق الهمزة وهو مكّي، وقد شكّل للدارسين عشرة وعائقا، لأنهم لما أرادوا القول بتعميم ظاهرة ترك الهمز في قريش، لم يستطيعوا لوجود قراءة ابن كثير، حتى قال إبراهيم أنيس: «ولو أن ابن كثير اشترك معها في تلك الصفة، لاستطعنا بسهولة أن نحكم على أن القراء قد التزموا ما عُرف عن بيئتهم من الهمز أو عدمه»⁽³⁾، فابن كثير وغيره قد خالفوا ما عُهد عن لغة قريش من التخلص من الهمزة وإسقاطها، وهي قراءة متواترة من القراءات السبع، ويدعم كذلك د. إبراهيم أنيس رأيه بأن أهل الحجاز لا يهزمون، بالاحتجاج بقراءة أبي جعفر ونافع من رواية ورش، فهما قارئتا المدينة المشهوران، وقد تخلّصا من تحقيق الهمزة لأنهما من البيئة الحجازية، ويُردّ عليه بأن قراءة نافع من رواية ورش قد تحقّق فيها الهمز في مواضع كثيرة.

(1) المرجع السابق، ص 22.

(2) عبد العزيز (حمد حسن): القياس في اللغة العربية، ص 63.

(3) أنيس (إبراهيم): في اللهجات العربية، ص 79.

● وقد ذكر الراجحي بحثاً مهماً في كتابه (في اللهجات العربية) بعد استقراءه لمجموعة من القراءات المهموزة ليتوصل إلى الحقائق التالية⁽¹⁾:

✓ أن أبا جعفر قارئ المدينة كان أكثر القراء ميلاً إلى تسهيل الهمزة أو تسهيلها، وهو بذلك يُمثّل بيئته في هذه الظاهرة خير تمثيل.

✓ أن نافعاً قارئ المدينة لم يُرو عنه تسهيل الهمزة في هذه القراءات إلا في حروف قليلة.

✓ أن ابن كثير قارئ المدينة لم يُرو عنه شيء من التسهيل في هذه القراءات كلها، ومعنى ذلك أن قراءته - من هذه الناحية - لا تُصوّر بيئته بحال.

✓ أن هذه القراءات توضح لنا - بما لا يدع مجالاً للشك - أن تحقيق الهمزة كان أكثر انتشاراً من تسهيلها.

إذن فالإشكال هنا قائم وأكبر من أن يُقَعَدَ له، فلا الروايات يُمكن أن تُشكّل إجماعاً على خصوصية قبيلة دون أخرى بالهمز أو عدمه، ولا القراء أنفسهم التزموا خطأً واحداً في تحقيق الهمزة أو تسهيلها. وهذا الحديث إنما يتعلق بما ذكره علماء العربية وتاريخها من نسبة الهمز إلى القبائل العربية، أمّا عن الهمز وأوجه أدائه في القراءات القرآنية فأمر مقطوع به لا يداخله شك.

ثالثاً - أشكال الهمزة بين النحويين والقراء:

يختلف التعامل مع حرف الهمزة بين النحويين والقراء، فكثيراً ما ينحو أهل اللغة والنحو في استقراءهم للظواهر اللغوية واللهجاتية، نحو مُحاصرة الظّاهرة ووضعها في قوالب ثم استنباط القواعد منها، ثمّ العود إلى تحكيم هذه القواعد على اللغة انطلاقاً مما خلصوا إليه بعد طول استقراء، وعلى غرار هؤلاء نجد أنّ القراء يُفصلون في تتبع أقسام الظّاهرة اللغوية

(1) الراجحي (عبده): اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص 118.

كالهمز مثلاً، تبعاً لما رَوَّه من وجوه متعدّدة في القراءة الواحدة، وحتّتهم في ذلك الرواية المعزّوة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لم تُرَق هذه القراءات آل اللّغة والتّحو.

فاللغويون قسّموا الهمزة إلى محقّقة ومحقّفة، أمّا المحقّقة فحالة واحدة لا كلام فيها، أمّا المخفّفة فقسّموها إلى ثلاثة أقسام: إبدال الهمزة وحذفها وقراءتها بين بين. يقول سيبويه: «إعلم أنّ الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء، التحقيق والتخفيف والإبدال.. أمّا التخفيف فتصير الهمزة بين بين، وتُبدل، وتُحذف»⁽¹⁾. أمّا ابن الحاجب فقد قال في الشافية: «تخفيف الهمزة يجمعه الإبدال والحذف وبين بين»⁽²⁾.

أمّا القراء فقسّموها تقسيماً دقيقاً حسب ارتباطها بما قبلها وما بعدها، لأنّ الأمر يتعلّق بالأداء الصحيح للقرآن الكريم. قال مكّي القيسي: «الهمز حرف ثقیل، فغیرته العرب لثقله، وتصرفت فيه ما لم تصرف في غيره من الحروف، فأثت به على سبعة أوجه مستعملة في القرآن والكلام، جاءت به محقّقا، ومخففا، ومبدلاً بغيره، وملقى حركته على ما قبله، ومخذوفا، ومثبتا، ومسهّلا بين حركته والحرف الذي منه حركته»⁽³⁾. إذن فالهمزة عند القراء قد أخذت أشكالا متعدّدة، وصورا متنوّعة، لأنّها غير ثابتة في اللفظ.

ونبدأ بذكر أحوال الهمزة بالتفصيل بين اللغويين والقراء، وباستقراء حالات الهمزة أثناء القراءة نجدها ثلاثا: المفردة، والهمزتان المجتمعتان في كلمة واحدة، والهمزتان المجتمعتان في كلمتين، ولكل حالة منها وجوه من القراءة وتخريجات عند النحاة.

1- الهمزة المفردة:

الهمزة في الكلام العربي إما ساكنة أو متحركة، فإن كانت ساكنة فإنّها تخفّف بإبدالها حرف مدّ من جنس حركة الحرف الذي قبله، قال سيبويه: «إذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة، فأردت أن تخفّف أبدلت مكانها ألفا.. وإن كان

(1) سيبويه (عمرو بن عثمان): الكتاب، ج03، ص541.

(2) الأستريادي (رضي الدين): شرح شافية ابن الحاجب، ج03، ص30.

(3) القيسي (مكي بن أبي طالب): الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص95.

ما قبلها مضموما فأدرت أن تخفف، أبدلت مكانها واوا.. وإن كان ما قبلها مكسورا، أبدلت مكانها ياءً»، وهذا الأمر محل اتفاق بين القراء والنحويين⁽¹⁾. ونستثني من هذا الحكم ما روي عن قراءة الكوفة والشام حمزة وهشام عن ابن عامر أنهما كانا يقفان على الهمزة الساكنة والمتحركة إذا وقعت طرفا في الكلمة بتسهيلها ويصلان بتحقيقها⁽²⁾. فإن كانت الهمزة متحركة فقد يكون ما قبلها ساكنا أو متحركا. وإذا كان متحركا فقد يكون حرفا صحيحا أو معتلا (حرف مد). فإذا كان حرفا صحيحا فالنحويون والقراء ممن يخففون الهمزة في حكمها⁽³⁾.

2- الهمزتان:

أخذت موضوع الهمزتين حيزا كبيرا في الدراسة لدى اللغويين والقراء على حدّ سواء، وذلك لكثرة فروعها واختلاف أدائها وصعوبته، وكذا اختلاف القراءة بها في القرآن الكريم، وقد ووقع الخلاف بين الفريقين وبلغ ذروته في مسألة تحقيق الهمزتين معا، أو تخفيفهما، أو تحقيق الأولى وتخفيف الثانية بإسقاطها، أو العكس، أو تسهيل إحداهما.. وإليك تفصيل ذلك.

أ- الهمزتان المجتمعتان في كلمة واحدة:

ولها حالات متعددة نلخصها فيما يلي:

1- الأولى من بنية الكلمة:

وهي تأتي على قسمين: فالقسم الأول تكون فيه الهمزة الأولى متحركة بالحركات الثلاث (الفتح والضم والكسر) والثانية ساكنة، فالقراء هنا يتفقون على إبدال الهمزة الثانية، فتبدل حرف مد من جنس حركة ما قبلها؛ فإن كان ما قبلها مفتوحاً أبدلت ألفا نحو: ﴿عَادَمٌ﴾ [البقرة: 31] فإن أصلها أَدَم، وإذا كان ما قبلها مضموماً أبدلت واوا نحو:

(1) ينظر: سيبويه (عمرو بن عثمان): الكتاب، ج 03، ص 555. والداني (أبو عمرو بن سعيد): التيسير في القراءات السبع، ص 31.

(2) ينظر: الداني (أبو عمرو): التيسير في القراءات السبع، ص 37-38.

(3) ينظر: الجميلي (صالح حيدر): الهمزة وأحوالها بين القراء واللغويين، ص 109.

﴿أُوتِيَ﴾ [البقرة: 136] فَإِنَّ أَصْلَهَا أُوتِيَ، وإذا كان ما قبلها مكسوراً أبدلت ياء نحو: ﴿إِيمَانًا﴾ [آل عمران: 173] فَإِنَّ أَصْلَهَا إِيمَانًا⁽¹⁾. ولا خلاف بين القراء والنحاة في هذه القاعدة⁽²⁾.

أما القسم الثاني: فتكون فيه الهمزة الأولى متحركة والثانية متحركة. ولم تأت في القرآن الكريم إلا في خمسة مواضع: الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وهي كلمة "أئمة": ﴿فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: 12]، ﴿أئِمَّةٌ يَبْهُوتُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: 73]، ﴿وَبَجَعَلَهُمْ أئِمَّةً﴾ [القصص: 05]، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً﴾ [القصص: 41]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً﴾ [السجدة: 24]. وقرئت هذه الكلمة على النحو التالي⁽³⁾:

أوجه القراءة	القارئ
بتحقيق الهمزتين	ابن عامر - عاصم - حمزة - الكسائي - ابن ذكوان - خلف - وفي رواية عن نافع - ابن أبي أُويس
بتسهيل الهمزة الثانية مع الإدخال ⁽⁴⁾	أبو جعفر
بتسهيل الهمزة الثانية بين ياء، وإبدالها ياء خالصة مع عدم الإدخال	نافع - ابن كثير - أبو عمرو - رؤيس
بالتحقيق مع الإدخال وعدمه	هشام

(1) ينظر: الداني (أبو عمرو): التيسير في القراءات السبع، ص 31. وابن الجزري (أبو الخير محمد): النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، ج 01، ص 381.

(2) ينظر: سيبويه (عمرو بن عثمان): الكتاب، ج 03، ص 551.

(3) محيسن (محمد سالم): المهذب في القراءات العشر وتوجيهها، ج 01، ص 261 - ج 02، ص 153 - 247 - 221.

(4) أي إدخال حرف مد بين الهمزتين.

أما النحاة واللغويون فقد اعترضوا على قراءة التحقيق وضعفوها، بل هناك من حكم عليها بالشذوذ استناداً إلى بعض القواعد الصرفية حول الهمز، فهذا سيبويه يقول: «واعلم أنّ الهمزتين إذا التقتا في كلمة واحدة لم يكن بدّ من بدل الآخر، ولا تُحَقَّف لأَهما إذا كانتا في حرف واحد لزم التقاء الهمزتين...»⁽¹⁾، ويقول في موضع آخر: «وزعموا أنّ ابن أبي إسحاق كان يُحَقِّق الهمزتين وأناس معه، وقد تكلم ببعضه العرب وهو رديء»⁽²⁾، وقال النحاس: «فأكثر النحويين يذهب إلى أن هذا لحن لا يجوز، لأنه جمع بين همزتين في كلمة واحدة»⁽³⁾، وقال ابن جني: «ومن شاذّ الهمز عندنا قراءة الكسائي (أئمة) بالتحقيق فيهما. فالهمزتان لا تلتقيان في كلمة واحدة إلّا أن تكونا عينين؛ نحو سئال وسئار، وجئار، فأما التقاؤهما على التحقيق من كلمتين فضعيف عندنا»⁽⁴⁾.

ويُرَدُّ على هؤلاء من عدّة أوجه نذكر منها:

- أنّ هذه القراءة من القراءات المتواترة، والثابتة، وأنّ أصحابها من القراء السبعة المشهود لهم بالريادة في علم القراءات بالإجماع، كابن عامر والكسائي وعاصم وغيرهم، فلا يجوز إنكارها ورميها بالضعف والشذوذ.
- إنّ عدم موافقة هذه القراءة للقواعد العربية التي وضعها اللغويون والنحاة لا يعني عدم صحتها، لأن القراءة هي السابقة والقواعد لاحقة، ولا يُحكّم القياس وهو اللاحق على السابق، ولا يصحّ أن يكون حجّة على القرآن الكريم.
- إنّ التحقيق أصل من أصول العربية، وهو ما سار في اللغة المثالية عند الشعراء والفصحاء والبلغاء، ولا يلتفت إلى أيّ خلاف كان، يقصد منه القول بإسقاط الهمز وإغفاله.

(1) سيبويه (عمرو بن عثمان): الكتاب، ج 03، ص 551.

(2) المرجع السابق، 443/04.

(3) النحاس، أبو جعفر أحمد: إعراب القرآن، 111/02.

(4) ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، 143/03.

- تأييد بعض النحويين لهذه القراءة، وردهم على الفريق الأول، فابن الحاجب يقول: « فقد صحّ التسهيل والتحقيق في نحو أئمة⁽¹⁾، وقال ابن مالك « وما بعد همزة الاستفهام من الهمزات جائز تحقيقه وتخفيفه، فكذا ما بعد همزة المضارعة⁽²⁾ ».

أ - 2 - الأولى استفهامية:

وهي مفتوحة دائما، وتكون الثانية على نوعين: إما ساكنة أو متحركة بالحركات الثلاث: الفتح، أو الضم، أو الكسر⁽³⁾. فإن كانت الثانية ساكنة-أي ألفا وصلية- ففيها حالتان: تكون مفتوحة أو مكسورة، فإن كانت مفتوحة فقد أجمع القراء على عدم حذفها وإثباتها فرقا بين الاستفهام والخبر، وأجمعوا على تخفيفها وعدم تحقيقها لكونها همزة وصل، وهمزة الوصل لا تثبت إلا ابتداء⁽⁴⁾، نحو: ﴿أَذْكُرِينَ﴾ [الأنعام: 143]، ونحو: ﴿أَلَا نَ﴾ [يونس: 51]. وإن كانت مكسورة فقد أجمع القراء على حذفها لأمن اللبس في الوصل، نحو ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [سبأ: 08]، ونحو: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ [الصفافات: 153]⁽⁵⁾.

فإن كانت الثانية متحركة بالحركات الثلاث: الفتح، أو الضم، أو الكسر فَلُفُّرَاءَ فيها ما يلي⁽⁶⁾:

الهمزة الثانية في الكلمة الواحدة			القارئ
مفتوحة (أَنْتَ)	مضمومة (أُولُقِي)	مكسورة (أُنَّا)	
التسهيل دون إدخال	التسهيل دون إدخال	التسهيل دون إدخال	ابن كثير
التسهيل مع الإدخال	التسهيل مع الإدخال	التسهيل مع الإدخال	قالون

(1) الأسترابادي (رضي الدين): شرح شافية ابن الحاجب، ج 03، ص 53.

(2) جمال الدين محمد (ابن مالك): شرح الكافية الشافية، ج 04، ص 2101.

(3) القيسي (مكي بن أبي طالب): الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص 147.

(4) ينظر: ابن الجزري (أبو الخير محمد): النشر في القراءات العشر، ج 01، ص 377.

(5) المرجع نفسه، ص 379.

(6) حمدان (أكرم علي): الهمز بين القراء والنحاة، ص 176.

أبو عمرو	التسهيل مع الإدخال	التسهيل مع الإدخال	التسهيل مع الإدخال وعدمه
هشام	التسهيل والتحقيق مع الإدخال	التحقيق مع الإدخال وعدمه	التحقيق مع الإدخال وعدمه
ورث	التسهيل، الإبدال ألفا	التسهيل دون إدخال	التسهيل دون إدخال
باقي القراء	التحقيق دون إدخال	التحقيق دون إدخال	التحقيق دون إدخال

ولم يذكر النحويون مثل هذا التفصيل في شأن همزة الاستفهام، والهمزة التي تأتي بعدها في أحوالها الثلاثة، إنما قالوا بوجود التحقيق والتخفيف في الثانية⁽¹⁾.

ب- الهمزتان المجتمعتان في كلمتين:

تأتي الهمزتان متجاورتين، فتكون الأولى في نهاية الكلمة والثانية في أول الكلمة الثانية، وهما تجيئان على قسمين:

ب- 1- متفتقتان في الحركة:

وهذا الاتفاق إما أن يكون بالفتح، نحو: ﴿جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: 18]، أو الضم، نحو: ﴿أُولَئِكَ﴾ [الأحقاف: 32]، أو الكسر، نحو: ﴿هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ﴾ [البقرة: 31]. وقرئت على النحو الآتي⁽²⁾:

الهمزتان من كلمتين			القارئ
مكسورتان ﴿هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ﴾	مضمومتان ﴿أُولَئِكَ﴾	مفتوحتان ﴿جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾	

(1) ينظر: الجميلي (صالح حيدر): الهمزة وأحوالها بين القراء واللغويين، ص 113.

(2) أبو شامة المقدسي (عبد الرحمن): إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، ص 140-144.

أبو عمرو	حذف الأولى وتحقيق الثانية	حذف الأولى وتحقيق الثانية	حذف الأولى وتحقيق الثانية
قالون والبزي	حذف الأولى وتحقيق الثانية	تسهيل الأولى وتحقيق الثانية	تسهيل الأولى وتحقيق الثانية
ورث وقنبل	تحقيق الأولى وتسهيل الثانية أو إبدالها ألفا	تحقيق الأولى وتسهيل الثانية أو إبدالها واوا	تحقيق الأولى وتسهيل الثانية أو إبدالها ياء
ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي	تحقيق الهمزتين	تحقيق الهمزتين	تحقيق الهمزتين

ب- 2- مختلفتان في الحركة:

أما إذا اختلفتا في الحركة فقد جاءت في القرآن الكريم على خمسة أقسام، وكانت القسمة تقتضي أن تكون

ستة⁽¹⁾:

الهمزتان المختلفتان من كلمتين	القارئ مع القراءة
الأول: مضمومة مفتوحة، نحو: ﴿السُّفْهَاءُ أَلَا﴾ [البقرة: 13].	- قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ورويس بقلبها واوا محضة. - قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وروح بتحقيق الهمزتين.

(1) الجماس (ضياء الدين): النطق بالقرآن الكريم، ج 01، ص 223-225.

- قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ورويس بتحقيق الأولى وتخفيف الثانية بينَ بين. - قرأ ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي وخلف وروح بتحقيق الهمزتين.	الثاني: مفتوحة مضمومة، عكس الأول، نحو: ﴿جَاءَ أُمَّةٌ﴾ [المؤمنون: 44].
- قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ورويس بقلبها ياء محضة. - قرأ ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي وخلف وروح بتحقيق الهمزتين.	الثالث: مكسورة مفتوحة، نحو: ﴿وَعَاءَ أَخِيهِ﴾ [يوسف: 76].
- قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ورويس بتحقيق الأولى وتخفيف الثانية بينَ بين. - قرأ ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي وخلف وروح بتحقيق الهمزتين.	الرابع: مفتوحة مكسورة، عكس الثالث، نحو: ﴿شَهْدَاءِ إِذْ حَضَرَ﴾ [البقرة: 133].
- ذهب جمهور القراء القدامى إلى إبدال الثانية واوا محضة مكسورة. وأما جمهور القراء المتأخرين، فإنهم يجعلونها بين بين (أي بين الهمزة والياء). - قرأ ابن عامر وعاصم وحمة والكسائي وخلف وروح بتحقيق الهمزتين.	الخامس: مضمومة مكسورة، نحو: ﴿مَنْ يَشَاءُ إِلَى﴾ [البقرة: 142].

وأما القسم السادس: مكسورة مضمومة، عكس الخامس فلم يرد له شاهد في القرآن.

وأما اللغويون والتّحاة فقد اختلفوا في تحقيق الهمزتين معا، أو تخفيفهما، أو تحقيق الأولى وتخفيف الثانية بإسقاطها،

أو العكس، أو تسهيل إحداها في الأقسام السابقة، على أربعة مذاهب:

-المذهب الأول: تحقيق الهمزتين وهو قول عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي من النحويين⁽¹⁾. وقد ذهب سيبويه إلى عدم تجويزه وحكم على تحقيق الهمزتين بالرداءة، فقال: « وأما الهمزتان فليس فيهما إدغام في مثل قولك: "قرأ أبوك"، و"أقرئ أباك"؛ لأنك لا يجوز لك أن تقول: "قرأ أبوك" فتحققهما...، وزعموا أن ابن أبي إسحاق كان يحقق الهمزتين وأناس معه، وقد تكلم ببعضه العرب، وهو رديء »⁽²⁾.

-المذهب الثاني: تخفيف الأولى (أي إسقاطها) وتحقيق الثانية، وهو مذهب أبي عمرو، قال سيبويه: « فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا، ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة، وهو قول أبي عمرو، وذلك كقولك: "فقد جاء أشراطها"، و"ياذكريا إنا نبشرك" »⁽³⁾.

-المذهب الثالث: تحقيق الهمزة الأولى، وتخفيف الثانية بإسقاطها، وهو مذهب الخليل بن أحمد، وإليه أشار سيبويه بقوله: « ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الآخرة، سمعنا ذلك من العرب، وهو قولك: "فقد جاء أشراطها"، و"ياذكريا إنا" »، وكان الخليل يستحب هذا القول⁽⁴⁾.

-المذهب الرابع: تخفيف الهمزتين جميعا، وهذا المذهب لم يقرأ به أحد من القراء، وإنما هو لغة أهل الحجاز، قال سيبويه: « وأما أهل الحجاز فيخففون الهمزتين؛ لأنه لو لم تكن إلا واحدة لخففت »⁽⁵⁾.

ولكل فريق حججه وأدلته، والتحقيق في المسألة أنّ تحقيق الهمز هو الأصل في الكلام، وأما التخفيف ففرع عنه، وإنما نحا إليه بعض العرب طلبا للخفة واستقلالاً للهمز، فقد أجمع العلماء على ثقله، فغيّرت العرب فيه وتصرّفت، قال

(1) المبرّد (أبو العباس): المقتضب، ج 01، ص 295.

(2) سيبويه (عمرو بن عثمان): الكتاب، ج 04، ص 443.

(3) المرجع السابق، ج 03، ص 549.

(4) المرجع السابق، ج 03، ص 549.

(5) المرجع السابق، ج 03، ص 550.

الرضي: « والتحقق هو الأصل كسائر الحروف، والتخفيف استحسان ⁽¹⁾، لذا لا يجوز للنحاة ردّ قراءة التحقيق في الهمزتين على نحو ما بينا سابقا.

خاتمة:

بعد هذه الجولة الممتعة مع حرف الهمز وما دار حوله من خلاف في وجه قراءته والنطف به عند القراء والنحويين نخلص إلى ما يلي:

- أنّ علماءنا قديما وحديثا تبنوا أهمية دراسة الهمز وصفاته وأحواله، فعنوا به أيما عناية، وكثر فيه خلافهم وتعددت أقاويلهم، فقد شغل حيزا كبيرا من تفكيرهم، على اختلاف مناهجهم من نحاة ولغويين وقراء.

- أنّ علماءنا القدامى بلغوا شأوا عظيما في دراسة أصوات العربية وتحديد مخارجها وصفاتها، وهذا ما شهد به المحدثون واستفادوا منه في دراساتهم الصوتية الحديثة، وما تعقبه المحدثون عليهم ليس تجنيا أو انتقاصا من قدرهم، بل مواصلة لجهود البحث والدرس اللغوي والقرآني، فقد توفر للمحدثين من الوسائل ما لم يتوفر لأسلافنا.

- أنّ ظاهرة الهمز من أشقّ العمليات الصوتية، لا يقدر عليها الناطق إلا بريضة شديدة، كما أقر بها القدامى والمحدثون، وقد اختلفوا في وصف الهمزة من حيث الجهر والهمس، ولكل فريق وسائله وطرائقه التي بنى عليها حكمه، ولا شك أن رأي المحدثين أقرب إلى الدقة والصواب كونه يستند على ما أنجزته التجارب المخبرية لتحديد صفة الهمزة، وهي الهمس وإن اختلفت تعبيراتهم في وصفه.

- التحقيق في الهمزتين سواء في الكلمة الواحدة، أو في الكلمتين سواء اتفقتا في الحركة أو اختلفتا، أصل من أصول العربية، جاءت به القراءات القرآنية، والتخفيف استحسان. ولا يضر مع وقع من خلاف مع النحويين فالقراءة سنة متبعة.

- التغيرات التي تطرأ على الهمزة يسميها اللغويون والنحويون تخفيفا، ويسميها القراء تسهيلا.

- الخلاف الذي وقع بين العلماء سواء أكانوا قراء أم نحويين، أصله تعدد لغات قبائل العرب.

(1) الأستاذ بازي (رضي الدين): شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص32.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- الأسترباذي (رضي الدين): شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد الحميد، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1982.
- 2- أنيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية، (دط)، القاهرة، طبعة نَحضة مصر، (دت).
- 3- أنيس (إبراهيم): في اللهجات العربية، ط3، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2003.
- 4- أيوب (عبد الرحمن): أصوات اللغة، ط2، القاهرة، مطبعة الكيلاني، 1968.
- 5- بشر (كمال): علم الأصوات، ط1، القاهرة، دار غريب، 2000.
- 6- الجبوري (مي فاضل): القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، ط1، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 2000.
- 7- ابن الجزري (أبو الخير محمد): النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، (دط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (دت).
- 8- الجميلي (صالح حيدر): الحمزة وأخواتها بين القراء واللغويين، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثالثة عشر، العدد 50، جويلية 2005.
- 9- الحماس (ضياء الدين): النطق بالقرآن الكريم، ط1، دمشق، مركز نور الشام للكتاب، 1993.
- 10- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي، (دت).
- 11- حسان (تمام): مناهج البحث في اللغة، (دط)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990.
- 12- الداني (أبو عمرو بن سعيد): التيسير في القراءات السبع، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي، 1984.
- 13- الراجحي (عبد): اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ط1، الرياض، مكتبة المعارف، 1999.
- 14- الزبيدي (محمد مرتضى): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، (دط)، بيروت، دار الفكر، 1994.
- 15- الزمخشري (جار الله): المفصل في صناعة الإعراب، (دط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (دت).
- 16- أبو زيد (بكر بن عبد الله): معجم المناهي اللفظية، ط3، الرياض، دار العاصمة، 1996.

- 17- السحيمي (سلمان بن سالم): إبدال الحروف في اللهجات العربية، ط1، المدينة المنورة، مكتبة الغراء الأثرية، 1995.
- 18- السمراي (إبراهيم): في اللهجات العربية القديمة، ط1، بيروت، دار الحديث، 1994.
- 19- سبيوه (عمرو بن عثمان): الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1982.
- 20- السيوطي (جلال الدين): همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1992.
- 21- أبو شامة المقدسي (عبد الرحمن): إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، (دط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (دت).
- 22- شاهين (عبد الصبور): أثر القراءات القرآنية في الأصوات والنحو العربي، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1987.
- 23- شاهين (عبد الصبور): القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، (دط)، القاهرة، مكتبة الخانجي، (دت).
- 24- الصالح (محمد صبحي): دراسات في فقه اللغة، ط16، بيروت، دار الملايين، 1960.
- 25- الصبان (محمد بن علي): حاشية الصبان على شرح الأشموني، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (دط)، القاهرة، المكتبة التوقيفية، (دت).
- 26- ابن الطحان (أبو الأصبع السّمان): كتاب تحصيل الهمزتين، تحقيق محمد يعقوب تركستاني، ط1، 1991.
- 27- طرية (أدما): معجم الهمزة، ط1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 2000.
- 28- عبد العزيز (حمد حسن): القياس في اللغة العربية، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، 1995.
- 29- العبيدي (عادل هادي): الظواهر الصوتية والصرفي والنحوية في قراءة الجحدري البصري، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2005.
- 30- عمر (أحمد مختار): دراسة الصوت اللغوي، (دط)، القاهرة، عالم الكتب، 1997.
- 31- الغوث (مختار): لغة قريش، ط1، الرياض، دار المعارج الدولية للنشر، 1997.
- 32- الفراهيدي (الخليل بن أحمد): معجم العين، تحقيق عبد الحميد هندراوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003.

- 33- القيسي (مكي بن أبي طالب): الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد محسن فرحات، ط3، عمان، دار عمار، 1996.
- 34- المارغيني (إبراهيم): النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، (دط)، بيروت، دار الفكر.
- 35- ابن مالك (جمال الدين محمد): شرح الكافية الشافية، تحقيق أحمد هريدي، ط1، عمان، دار المأمون، 1982.
- 36- المبرّد (أبو العباس): المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، ط3، القاهرة، لجنة إحياء التراث، 1994.
- 37- محيسن (محمد سالم): المذهب في القراءات العشر وتوجيهها، ط1، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، 2002.
- 38- ابن منظور (جمال الدين): لسان العرب، بيروت، دار صادر، 2000.
- 39- النحاس، أبو جعفر أحمد: إعراب القرآن، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004.
- 40- هلال (عبد الغفار حامد): عبقرى اللغويين أبو الفتح عثمان بن جني، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، 2006.
- 41- هلال (عبد الغفار حامد): اللهجات العربية نشأة وتطورا، ط2، القاهرة، مكتبة وهبية، 1993.



